إعداد: محمود وهاب
رسوم: جهاد ناصر الدين

المُتألِّمين مُساعِدٌ

كانت الشمس حارقةً تلفَحُ وجهيهما. نظر الرّجل العجوز إلى ولده بضيقٍ وحزنٍ شديدين. كان يعلم أنّه يشعر بالجوع مثله. فمنذ عدّة أيام لم يتناولا أيّ طعام. فكّر في نفسِه: «يا ليتنَي أجدُ عملاً ما، يا ليتني أملك مالاً لأسدّد ديوني، وأشتري طعاماً وثياباً لابني». فجأةً، لمَعتْ في رأسهِ فِكرة: «لماذا لا أقصد الإمام عليه السلام؟ فالجميع يقولون إنّه رحيمٌ وكريمٌ». فقام مع ولده وانطلق نحو منزل الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

كان الطقسُ حاراً جداً، وكادا أن يقعا أرضاً من شدّة الجوع والتّعب. أثناء الطريق سأل الولد أباه: «أبي، أبي، هل سيُساعدنا الإمام عليه السلام؟ لو يُعطينا مقداراً من المال، عندها سوف آكلُ طعاماً لذيذاً وألبسُ ثياباً جديدة»، أجابه الوالد: «بُنيّ حبيبي، بالتّأكيد سيُساعدنا فهو من آل بيتٍ يتّصفون بالكرم والسّخاء».

في النهاية، وصل الرجل العجوز وولدُه إلى منزل الإمام الحسن العسكري عليه السلام. دقّ الولد الباب. بعد هنيهةٍ، فتح البابَ رجلٌ من أصحاب الإمام عليه السلام. سلّم عليهما، تبسّم في وجهيهما ودعاهما للدخول إلى المنزل. دخلا فاستقبلهما الإمام عليه السلام بحنانٍ ووجهٍ بشوشٍ. جلس العجوز صامتاً ولم يكن يدري كيف سيُخبر الإمام عليه السلام عن أحواله ومشكلاته ومصائبه. طأطأ رأسه إلى الأسفل وظهر عليه الحياء والخجل. ألقى الإمام عليه السلام نظرةً إلى وجهيهما الضعيفين شاحِبَي اللونِ، وإلى ثيابهما الرّثة. ثم قال بلطفٍ: «أهلاً وسهلاً بِكما في منزلي. كان عليكما أن تأتيا من قبل». ثم أحضر لهما مقداراً من الطعام والرُّطب.

وبعد مضي فترة وجيزة، قام الرجل العجوز وابنُه وودّعا الإمام عليه السلام وخرجا من منزله. كان الرجل العجوز لا يزال يشعر بالضيق والانزعاج في صدرِه، وفكّر في نفسه: «لماذا لم أُخبر الإمام عليه السلام بمشكلتي؟ لماذا لم أطلب منه المساعدة»؟

وبينما هو غارق في تفكيره، إذ بأحدهم يناديه، نظر إلى الخلف، فرأى صاحب الإمام الحسن العسكري عليه السلام متّجهاً نحوه. أخرج كيساً من المالِ وأعطاه إلى الرجل قائلاً: «لقد أرسل إليك الإمام عليه السلام خمسمئة درهم

كي تستطيع بها تسديد قرضك وشراء الخبز والطعام والثياب».

أخذ الرجل العجوز كيس المال بفرحٍ وحمدَ الله تعالى. ثم اتّجه مع ولده إلى السوق، ولكنّه كان يُفكّر بدهشةٍ: «لقد أرسلَ إليّ الإمام عليه السلام المقدار الذي أحتاجه فعلاً من المال، من أين كان يعلم أنّنا بحاجة إلى المال يا ترى؟ حقاً الله يعلمُ حيث يجعل رسالته».

رفع الولدُ يديه إلى السماء وقال: « شكراً لك يا ربّي، شكراً لك يا إمامي العسكريّ».